آيات الاعتقاد في سورة الحجرات
دراسة تفسيرية تحليلية

د. عفاف عطية الله المعبدي

أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى

مقدمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.أما بعد: فإن من أهم ما يعتنى بمعرفة أصوله علم التفسير، فهو من أشرف العلوم وأجلها، وما ذاك إلا لتعلقه بكتاب الله تعالى، بفهمه وتدبره، واستخراج دلالات آياته، واستنباط أحكامه وتشريعاته وآدابه..... ومما جاء في كتاب الله واعتنى المفسرون ببيانه آيات العقيدة، وقد دعاهم إلى العناية بها ما للعقيدة من أهمية لا تخفى، فهي بلا شك تعد أهم مقاصد القرآن قاطبة، ذلك أنها الركيزة الأساسية لبناء الإنسان، ومصدره أمنه وطمأنينته، ومنبع عزته واستعلائه.وإذا كان الأمر كذلك فلا شك أن تلقى العقيدة العناية والاهتمام سواءً من الشارع سبحانه حيث كثرت النصوص القرآنية في شأنها وتنوعت أساليب بنائها، أو ممن عمد إلى علم التفسير واشتغل به حيث تناولها المفسرون بالبيان والإيضاح كل منهم يجتهد في ذلك بحسب ما تأثروا به من مذاهب عقدية، أو مدارس فكرية نشأوا في ظلالها أو سمعوا بها.وقد استعنت بالله تعالى واخترت آيات العقيدة في سورة الحجرات (١٤-١٨)، لتكون مجالا للتفسير والتحليل وسميت بحثي(آيات الاعتقاد في سورة الحجرات دراسة تفسيرية تحليلية)ولقد دعاني لاختيار هذه السورة أنها وبالرغم من قصرها وقلة عدد آياتها، لكنها جاءت شاملة لأحكام وآداب جليلة وضخمة، متصفنة لحقائق كبيرة في العقيدة والشريعة، حقائق تفتح القلب والعقل معاً.كما تضمنت حقائق التربية الخالدة، وأسس المدنية الفاضلة التي تقود الإنسانية إلى العلياء والكمال.كل ذلك يدور حول تحقيق أهم مقصد للقرآن ألا وهو الإيمان، الذي تحيا به النفوس، وفي ضوئه تسير، وعلى مناهجه تموت.لأجل كل ما سبق اتجهت أبحث في هذه السورة بحثاً تحليلياً مفصلاً للآيات المختارة منها ولا أدعي أنني قد أتيت فيه بما لم يأت الأولون، ولكنه الجمع والانتقاء والاختصار والتعليق والترجيح بحسب ما يقتضيه المقام، وتفهمه العقول والألباب.خطة البحث:وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وفصلين وخاتمه.أما المقدمة: فذكرت فيها أهمية البحث وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجي فيه.الفصل الأول: وقفات بين يدي سورة الحجرات، وفيه ما يلي:القول في نزول السورة.اسم السورة وسبب تسميتها به .فضل السورة.مناسبة السورة لما قبلها.موضوعات السورة. الإيمان وعلاقته بموضوعات السورة.الفصل الثاني: التفسير التحليلي للآيات، وفيه ما يلي:

أولا: قول الله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ ...﴿١٤﴾ ﴾ **وفيه:**

- سبب نزول الآية.
- المراد بـ (الأعراب).
- معنى الإيمان.
- العلاقة بين الإيمان والإسلام.

- السر في استعمال (لم) في قوله ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ ... ﴾ .
- وقفة بلاغية في قوله ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ... ﴾ .
- فائدة استعمال (لـمَّـــا) في قوله ﴿ ...وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ... ﴾ .
- معنى الطاعة لله ورسوله.
- القراءات في قوله ﴿ لَا يَلِتْكُم ﴾ .
- معنى ﴿ لَا يَلِتْكُم ﴾.
- المعنى العام للآية.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ...﴿١٥﴾ ﴾ **وفيه:**

- مناسبة الآية لما قبلها.
- صفات أهل الإيمان.
- حكمة تقديم الأموال على الأنفس في قوله ﴿ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴿١٥﴾ ﴾
- المراد بقوله ﴿ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾ .
- المعنى العام للآية.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ...﴿١٦﴾ ﴾ **وفيه:**

- سبب نزول الآية.
- نوع الاستفهام في الآية ودلالته.
- المعنى العام للآية.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ...﴿١٧﴾ ﴾ **وفيه:**

- معنى المـــَن.
- إعراب (أن) في قوله ﴿ أَنْ أَسْلَمُواْ ﴾.
- دلالة قوله تعالى ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ...﴿١٧﴾ ﴾.
- المعنى العام للآية.
- فائدة .

خامساً: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...﴿١٨﴾ ﴾ **وفيه:**

- القراءات في الآية.
- معنى العام للآية.
- الفائدة.

الخاتمة: وفيها ذكر بعض نتائج البحث.

الفهارس:

١- فهرس المراجع والمصادر.

٢- فهرس الموضوعات.

منهجي في البحث:

ولتحقيق الخطة اتبعت المنهج التالي:

١-كتابة الآية المراد تفسيرها كاملة ثم أذكر ما يتعلق بها على وجه العموم كأسباب النزول والقراءات الموجودة فيها، ثم أقسم الآية إلى أجزاء مع تفسير كل جزء تفسيراً تحليلياً، ثم أتبع ذلك كله بالمعنى العام للآية.

٢- إذا اجتمع عدد من المفسرين في رأي واحد فإني أصيغه بصورة عامة ثم في الهامش أذكر من ذهب إليه من المفسرين أو في الأصل.

٣- قد أنقل رأي أحد المفسرين في المسألة، وأختاره بحسب وضوح عباراته ثم أحيل في الهامش إلى بقية المفسرين الذين قالوا بقوله.

٤- أرجّح بين الأقوال بحسب استطاعتي مع ذكر أدلة الترجيح.

٥- تخريج الأحاديث الواردة من مصادرها الأصلية، مع بيان أقوال العلماء وحكمهم على الحديث إن وجد إن لم يكن في الصحيحين.

٦- بيان معنى الكلمات الغريبة مستعينة بكتب اللغة وكتب معاني القرآن كالمفردات للراغب الأصفهاني وغيرها.

٧- ترجمت بعض الأعلام ممن أرى الحاجة لمعرفتهم.

٨- إبراز منهج أهل السنة والجماعة في المسائل العقدية والإشارة لمن خالفهم في ذلك متى ذكرهم المفسرون في تفسيرهم.الآيات المراد دراستها قال الله تعالى:﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [سورة الحجرات].

الفصل الأول
وقفات بين يدي سورة الحجرات

وفيه:

- **القول في نزول السورة.**
- **اسم السورة وسبب تسميتها به.**

- **فضل السورة.**
- **مناسبة السورة لما قبلها.**
- **موضوعات السورة.**
- **الإيمان وعلاقته بموضوعات السورة.**

وقفات بين يدي سورة الحجرات

القول في نزول السورة:سورة الحجرات سورة مدنية بالإجماع (١)، وحكي قول شاذ أنها مكية (٢) وهو قول لا يعرف قائله (٣).وقيل إن آية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ... ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات].نزلت بمكة يوم الفتح لكنها مدنية، لأنها نزلت بعد الهجرة، فهي على ذلك مما نزل بمكة وحكمه مدني(٤).ولعل القائلين بمكية هذه الآية اعتمدوا على ما يلي:

١- أن المكي ما نزل بمكة ولو كان بعد الهجرة، وعلى هذا التقسيم هي مكية عندهم.

٢- ما جاء في الأثر عن عمر ﷺ قال: "إن هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ... ﴿١٣﴾ ﴾ في الحجرات هي مكية، وهي للعرب خاصة الموالي أي قبيلة لهم، وأي شعاب، وقوله ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ... ﴿١٣﴾ ﴾ قال: أتقاكم للشرك" (٥).

٣- أن النداء في هذه السورة جاء بلفظ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ، وهذا من مميزات السور المكية على ما قرره بعض العلماء مستندين إلى ما جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ (٦).

ويجاب عليهم بالآتي:

١- أن اعتبار التقسيم المكاني في النزول اعتبار فيه نظر، لعدم شموله لجميع آيات القرآن، بينما الاعتبار الزماني للتقسيم يشمل جميع آيات القرآن فهي إما نزلت قبل الهجرة وإما نزلت بعدها وهو المشهور(٧).

٢- أن الأثر المذكور عن عمر ﷺ هو أثر لم يثبت، وعلى فرض ثبوته فإنه مخالف لما ثبت بالإجماع ولما قاله ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم: أنها نزلت بالمدينة(٨)، فلم يستثنوا من ذلك آية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾.

٣- أما أن النداء في الآية هو من خصائص السور المكية ودلائلها، فإن هذا هو الغالب لكن لا يمنع هذا من وروده في السور المدنية ولكن على قلة إذا ما قورن بنداء أهل الإيمان، ولذا نجد في سورة الحجرات المدنية نداء بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ خمس مرات، ونداء واحد بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ، ثم إن هذا النداء عام يدخل فيه المؤمن والكافر.

•قال صاحب البرهان (٩) : " إن أخذ هذا القول على إطلاقه فيه نظر فإن سورة البقرة مدنية وفيها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ... ﴾ ، وسورة الحج مكية، وفيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾فإن أراد المفسرون أن الغالب ذلك فهو صحيح، ولذا قال مكي: "هذا إنما هو أكثر وليس بعام" (١٠): ، وقال الألوسي: "والحق أن هذا ليس بمطرد" (١١).

•ونقل الرازي عن القاضي قوله: " يجوز خطاب المؤمنين بصفتهم واسمهم وجنسهم" (١٢).

•وقال ابن عاشور: "لم يثبت أن تلك الآية نزلت بمكة، ولم يعدها في الإتقان في عداد السور المستثنى بعض آياتها" (١٣).

•وبهذا يظهر والله أعلم أن الثابت أن آية﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ... ﴾ **هي مدنية أيضاً.**

•هذه السورة نزلت في السنة التاسعة من الهجرة، وأول آياتها في شأن وفد بني تميم الذين جاءوا للنبي ﷺ في سنة الوفود، السنة التاسعة من الهجرة على أحد الأقوال في سبب نزولها (١٤).

•وعدد آياتها بالاتفاق (١٨) آية (١٥).

•قال ابن عاشور : "وعدّ جميع العادِّين آيها ثمان عشرة " (١٦).

•هذه السورة هي بداية المفصل (١٧) على أحد الأقوال الاثني عشر في ذلك (١٨)، وقد صححه النووي رحمه الله تعالى (١٩)، وقال السمعاني في تفسيره (٢١٢/٥) : " الأكثرون على أن المفصل من هذه السورة ، والله أعلم" .

•والحجرات ليس فيها ناسخ ولا منسوخ كما قال بذلك العلماء (٢٠).

•اسم السورة وسبب تسميتها به:سورة الحجرات هي من السور التي لها اسم واحد فقط [٢١]، وسبب تسميتها به ورود لفظ (الحجرات) في إحدى آياتها وهو قول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ قال ابن عاشور :" سميت في جميع المصاحف وكتب السنة والتفسير سورة الحجرات، وليس لها اسم غيره، ووجه تسميتها به أنها ذكر فيها لفظ الحجرات" [٢٢].

وقيل:" سميت بها لدلالة آياتها على سلب إنسانية من لا يعظم رسول الله غاية التعظيم، ولا يحترمه غاية الاحترام، وهو من أعظم مقاصد القرآن" [٢٣].

- **فضل السورة:**

لا يثبت في فضل السورة حديث صحيح وكل ماورد هو دائر بين الضعيف والموضوع ومن تلك الأحاديث:

١- ما روي عن أبي بن كعب قال: قال قال رسول الله ﷺ: **(من قرأ الحجرات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله ومن عصاه)** [٢٤].

٢- وجاء عن عمر ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قرأ سورة الحجرات خرج من قبره وهو يقرؤها حتى يدخل الجنة والناس في الحساب)** [٢٥] .

٢-ومن فضلها أنها أول المفصل الذي ذكره النبي ﷺ: **(أعطيت السبع الطوال مكان التوراة، وأعطيت المائين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلني ربي بالمفصل)** [٢٦].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

لسورة الحجرات علاقة بما قبلها من سورتي محمد والفتح، يوضح ذلك **قول البقاعي رحمه الله:** "لما نوه سبحانه في القتال (محمد) بذكر النبي ﷺ في ابتدائها باسمه الشريف، وسمى السورة به، وملأ سورة محمد [٢٧] بتعظيمه، وختمها باسمه، ومدح أتباعه لأجله، افتتح هذه باشتراط الأدب معه في القول والفعل" [٢٨].**وقال الألوسي رحمه الله:**

"لا يخفى تواخيهما مع ما قبلها لكونهما مدنيتين ومشتملتين على أحكام، وتلك فيها قتال الكفار، وهذه فيها قتال البغاة، وتلك ختمت بالذين آمنوا، وهذه افتتحت بالذين آمنوا، وتلك تضمنت تشريفات له ﷺ خصوصاً مطلعها، وهذه أيضاً في مطلعها أنواع من التشريف له عليه الصلاة والسلام" [٢٩].

وجاء في ذكر مناسبة آخر سورة الفتح بأول سورة الحجرات، أنه تعالى لما وصف النبي ﷺ وأصحابه، وقال لهم سبحانه ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴿٢٩﴾﴾ [الفتح]، فربما صدر من المؤمن العامل للصالحات بعض شيء مما ينبغي أن ينهى عنه مما يقدح في إيمانه وينقص من عمله الصالح، فقال الله جل وعلا تعليماً للمؤمنين وتهذيباً لهم وحفظاً لإيمانهم وعملهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ... ﴿١﴾﴾ [٣٠] [الحجرات] .

ولعلنا نلمس المناسبة بين السورتين (الفتح والحجرات) إذا تأملنا المواقف التي أشير إليها في سورة الفتح. فعمر ﷺ لم ير أن يتم الصلح بين المسلمين وقريش، ثم موقف الصحابة من عدم التحلل من إحرامهم ونحر هديهم، بل والرسول يأمرهم وهم لا يستجيبون حتى تقدمهم ﷺ فنحر هديه ثم نحروا، وحلق رأسه ثم حلقوا، تلك المواقف المشار إليها في سورة الفتح فيها معنى تقديم الرأي بين يدي الله ورسوله وفي ذلك مضرة للمسلمين لا يعلم مداها إلا الله، فلما انتهت تلك الحال وذلك الظرف الصعب أنزل الله سورة الحجرات وفي أولها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾﴾ لا قولاً ولا عملاً ولا رأياً ولا فكراً إلا تبعاً لما قال الله ورسوله.فعلمهم الله بذلك ما كان ينبغي أن يصدر عنهم وهم المؤمنون بالله ربّا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ونبياً.

- **موضوعات السورة:**

تدور موضوعات السورة حول إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق إما مع الله تعالى أو مع رسوله ﷺ، أو مع غيرهما من المؤمنين الحاضرين والغائبين أو من الفاسقين الخارجين (٣١).

فأول تلك الموضوعات: تعليم المسلمين بعض ما يجب عليهم من الأدب مع الله ورسوله فلا يتقدموا بقولهم أو عملهم أو رأيهم رأي الشارع سبحانه أو رأي المبلغ عنه ﷺ.

قال البقاعي رحمه الله: "وافتتح بالله لأن الأدب معه هو الأصل الجامع للكل، والأس الذي لا يبنى إلا عليه" (٣٢).

ثانيها: تعليم المسلمين الأدب مع النبي ﷺ في معاملته وخطابه وندائه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ .

ثالثها: تعليم المسلمين ضرورة التثبت في نقل الخبر خاصة إذا جاء عمن عُرف بالفسق ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ...﴿٦﴾ ﴾ .

رابعها: تعليم المسلمين بعض ما يجب عليهم نحو إخوانهم من المسلمين، فلا بد من معاونتهم على الحق، والوقوف بجانب المظلوم منهم وردع الظالم والأخذ على يديه. والمسارعة في الصلح بين المؤمنين متى نشب خلاف أو قتال بينهم فهذا من مقتضيات الإيمان.ثم للمسلم حق حفظ عرضه فلا يكن عرضه للسخرية أو التنابز أو اللمز أو الظن السيء به أو التجسس عليه.وكما له حق في حضوره له حق في غيبته أن لا يذكر بسوء حال غيابه.

خامسها: التنبيه على طريق المجد الحقيقي في الدنيا والآخرة، إنها الطريق التي تجمع بين الإيمان والعمل الصالح، وبهما يعلو مقامه عند الله تعالى، لابنسب ولا حسب ولا لون ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ...﴿١٣﴾ ﴾

- الإيمان وعلاقته بموضوعات السورة:

إن المتأمل لنصوص القرآن يجد أنها أولت اهتماماً كبيراً بجوانب العقيدة، وجعلتها أهم مقصد من المقاصد التي نزل القرآن من أجلها، ذلك أن العقيدة الصحيحة هي الأساس في بناء الأمم الحية، ونشوء الحضارات النافعة للبشرية جمعاء، ولأنها لا وجود للشريعة في الإسلام إلّا بوجودها، ولا ازدهار لها إلا في ظلها.وقد سلك الكتاب الكريم – وهو بسبيله إلى بناء منهج علمي متكامل للوصول إلى العقيدة– كل السبل والطرق التي تؤدي إلى غرس وترسيخ المبادئ العقيدة الصحيحة في العقول والقلوب.ومن أهم تلك السبل: بناء العقيدة الصحيحة في المرحلة المكية ثم رعاية تلك العقيدة في نفوس معتنقيها في المرحلة المدنية، ولذلك فإن الآيات المتعلقة بالعقيدة موجودة في السور المدنية كما هي موجودة في السور المكية ؛ وفي هذا بيان "بالأهمية الخاصة لهذا الموضوع ذاته، وأن الحديث عنه ليس درساً يعطى، ثم يمضي عنه إلى غيره، وإنما هو درس يُعطى على الدوام والاستمرار ثم يضي معه إلى غيره" (٣٣).وسورة الحجرات هي من السور المدنية، ولكن المتأمل لهذه السورة سيدرك أن موضوع السورة الذي يتفرع عنه كل موضوع هو الإيمان ، ويظهر ذلك جليا في بناء

الإيمان وتصحيح المفهوم الخاطئ حوله لدى بعض المسلمين إذ خلطوا بين الإيمان والإسلام.وهذا يبرز في أول السورة كما في آخرها، بل في كل آية من آياتها، وكل مقطع فالإسلام اتضحت معالمه، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، لكن الإيمان بمفهومه المطلق الشامل للأعمال الظاهرة والباطنة، لا يزال بحاجة إلى مزيد بيان وجلاء، لولا ذلك لما قالت الأعراب ما قالت، ولاغرو في ذلك، فإن الدين لم يكتمل إلا في حجة الوداع.وتبرز هذه الحقيقة إذا علمنا أن السورة نزلت متأخرة، بل في آخر العهد المدني وقبل حجة الوداع، وهذا الجانب يتضح في أول كلمة في السورة، إذ ناداهم الله تعالى بقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... ﴾.وقد تكرر هذا النداء في السورة خمس مرات، وفي كل مرة ينبه الله المؤمنين إلى خصلة تنافي إيمانهم، وكأنه سبحانه يقول لهم: إن المطابق لإيمانكم أن لا تفعلوا ما تفعلوا فلربما أثر ذلك على إيمانكم لدرجة أن يكون ذلك الفعل سبباً لذهاب الإيمان ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحجرات].وهكذا جاء النداء باسم الإيمان وسيلة لتصحيح مساره، وتقويم اعوجاجه، وإكمال نقصه في نفوس أولئك الذين ناداهم الله باسم الإيمان.ولم يكن هذا هو الأسلوب الوحيد المتبع في السورة لبناء الإيمان بل بُني بأساليب أخرى في السورة منها:

١- أنه تعالى لما دعاهم باسم الإيمان إلى التثبت -ونهى عن العجلة- بين لهم مكانة وأثر الرسول ﷺ فيهم ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ ...٧﴾ فعرضه عليهم محبباً مزيناً.وفجأة ينقلنا نقله عميقة في مدلولها، مجلجلة في إيقاعها ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ... ﴾ ثم يشير إشارة (باسم الإشارة البعيد) فيقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾.

وكأنه سبحانه يعرض لنا الإيمان بالسهل الممتنع وكأنه قريب بعيد. إنها إشارة لها مغزاها ومدلولها.

٢- يستمر عرض الإيمان وبنائه بالأساليب المتعددة المؤثرة، فبعد أن ذكر سبحانه ما يجب في حال اقتتال طائفتين استأنف فقال ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ وهل يليق قتال بين الأخوة؟ بل هل يليق أن يقف المؤمن حيال إخوته المتخاصمين موقفاً سلبياً؟ ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾

وفي هذا تصحيح لمسار الإيمان ومفهومه عند بعض المسلمين، فالسلبية والإيمان لا يجتمعان.

٣- يأتي ختام هذه السورة (وهي الآيات المراد دراستها في هذا البحث) مصرحاً بالحقيقة التي بدأ بها، بل ومحدداً لهذا المفهوم، ومستنكراً وضع الأمور في غير مواضعها، وتسمية الأشياء بغير مسمياتها فيقول سبحانه، ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ... ﴾ .ثم يحسم القضية حسماً لا جدال بعده ولا لبس فيه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ... ﴾ .حصر وتأكيد، ثم إزالة لأي تشكيك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾

٤- في آخر آية من آيات الإيمان والواردة قبل آخر آية في السورة جاءت بدلالة مؤثرة ﴿...بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ ...﴾

٥- جاء ختام السورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ...١٨﴾ ليبني فينا معالم الإيمان، فمن الإيمان التصديق بعلم الله الشامل، بما نعلم ونعمل، وبما نعلن ونظهر.وتعتبر هذه الآية الضمانة الحقيقة لعدم الوقوع في كثير من الأخطاء الإيمانية التي نبهت عليها السورة، فهي الحصن المنيع والسياج الواقي، والضمانة لتلافي كل ما حدث وما قد يحدث.وأختم بقول سيد قطب رحمه الله في بيان وحدة موضوعات السورة:"والسورة بعض عرض هذه الحقائق الضخمة التي تكاد تستقل برسم معالم ذلك العالم الرفيع الكريم النظيف السليم، تحدد معالم الإيمان، الذي باسمه دُعي المؤمنون إلى إقامة ذلك العالم، وباسمه هُتف لهم ليبلوا دعوة الله الذي يدعوهم إلى تكاليفه بهذا الوصف الجميل، الحافز إلى التلبية والتسليم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ، **ذلك النداء الحليب الذي يخجل من يُدعي به من الله أن لا يجيب، والذي ييسر كل تكليف ويهون كل مشقة، ويشوق كل قلب فيسمع ويستجيب" (٣٤).**

الفصل الثاني
التفسير التحليلي للآيات

وفيه:

- **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ ...١٤﴾
- **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...١٥﴾
- **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ ...١٦﴾
- **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ ...١٧﴾
- **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ...١٨﴾

قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾

- **سبب نزول الآية:**

اختلف أهل التفسير في سبب نزول الآية إلى أقوال عدة:

القول الأول: أنها نزلت في قوم من الأعراب منُّوا على رسول الله ﷺ بإسلامهم.قال قتادة [٣٥] رحمه الله : " إنما أنزلت في حي من أحياء الأعراب امتنوا بإسلامهم على رسول الله ﷺ، فقالوا: أسلمنا، ولم

نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، وبنو فلان فقال الله: لا تقولوا: آمنا، ﴿وَلَكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ حتى بلغ ﴿فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ "(٣٦).قال مجاهد (٣٧) رحمه الله: "هم أعراب بني أسد (٣٨) بن خزيمة " (٣٩).

القول الثاني: هو قول السدي (٤٠) رحمه الله، أنهانزلت في الأعراب المذكورين في سورة الفتح: أعراب مزينة وجهينة وأسلم وغفار والدّيل وأشجع، قالوا: آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى المدينة تخلفوا فنزلت (٤١).

القول الثالث: ما جاء عن ابن عباس ﷺ "أنهم قوم من الأعراب أرادوا أن يتسموا باسم الهجرة، وألّا يتسموا بأسمائهم التي سماهم الله، وكان هذا في أول الهجرة قبل أن تنزل المواريث لهم" (٤٢) .

القول الرابع: أنها نزلت في قوم من الأعراب لم يصدقوا إيمانهم بأعمالهم، فرد الله ذلك عليهم ﴿قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ...١٤﴾ (٤٣).

والقول الأول: هو اختيار جمهور المفسرين كالقرطبي والبغوي وابن كثير والألوسي والزمخشري والواحدي في أسباب النزول (٤٤) وهو الصحيح كما ذكر ذلك صاحب كتاب (الصحيح من أسباب النزول). ورجح الطبري القول الرابع منها (٤٥).والذي يظهر أنه يمكن الجمع بين ما اختاره جمهور المفسرين وبين ما اختاره ابن جرير فإن الذين منُّوا بإسلامهم على رسول الله من الأعراب، لم يصدقوا إيمانهم بأعمالهم إذ لو كانوا مؤمنين إيماناً كاملاً لجاءت أعمالهم تصدق ذلك ولما منُّوا على رسول الله بإسلامهم، ولكن لما ظهر منهم المنّ علم مخالفة أعمالهم إيمانهم والله أعلم.وعلى اختلاف الأقوال فيمن نزلت؟ ولماذا نزلت؟ فإن الآية خاصة لبعض الأعراب لأن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر.قال قتادة رحمه الله: "لم تعم هذه الآية الأعراب، إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويتخذ ما ينفق قربات عند الله، ولكنها طوائف من الأعراب" (٤٦).

- **معنى الأعراب:**

الأعراب أو الأعاريب: جمع أعرابي، يقال: رجل أعرابي إذا كان بدوياً صاحب ارتياد للكلأ، وتتبع لمساقط الغيث سواء كان من العرب أو من مواليهم (٤٧).وكل من نزل البادية أو جاور البدو فهو أعرابي، وكل من استوطن المدن فإنه عربي وإن لم يكن فصيحاً (٤٨).قال صاحب تهذيب اللغة (٤٩): " وقول الله عزوجل: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ ...١٤﴾ ، هؤلاء قوم من بوادي العرب قدموا على النبي ﷺ المدينة طمعاً في الصدقات لا رغبة في الإيمان فسماهم الله الأعراب" (٥٠).وقد حصل خلاف بين أهل العلم أي الأعراب هؤلاء كما بينا سابقاً (٥١)، فقد قال مجاهد رحمه الله: هم أعاريب بني أسد بن خزيمة، وقال السدي: هم الأعراب المذكورون في سورة الفتح قبائل مزينة وجهينة وأسلم وغفار والدّيل وأشجع.قال الشوكاني رحمه الله " والأول أولى" (٥٢) وتبعه في ذلك القنوجي في تفسيره (٥٣).وما اختاره الشوكاني هو الأولى ؛لأن سبب النزول الذي عليه جمهور المفسرين هو أنهم أعرب

منُّوا بإسلامهم والمراد بهم أعاريب بني أسد بن خزيمة.فهذا الاختيار للأولى من الشوكاني رحمه الله يرجحه سبب النزول الراجح والصحيح والذي اختاره جمهور المفسرين.﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ ...﴿١٤﴾ ﴾

- **معنى الإيمان:**

في هذه الآية يذكر الله تعالى ادعاء الأعراب لأنفسهم مقام الإيمان والذي هو: تصديق بالجنان وعمل بالأركان وقول باللسان على ما ذهب إليه جمهور السلف رحمهم الله تعالى(٥٤).وهذا هو الإيمان المطلق الذي يشمل الأعمال الباطنة والظاهرة (٥٥).ولكن الله تعالى أنكر على هؤلاء الأعراب ادعاءهم مقام الإيمان لأنفسهم وهو لم يحصل لهم بعد، ولذا امره نبيه محمد ﷺ أن يقول لهم: ﴿ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ... ﴾قال صاحب أضواء البيان (٥٦): "هذا يدل على نفي الإيمان عنهم وثبوت الإسلام لهم" (٥٧)

- **العلاقة بين الإسلام والإيمان:**

اختلف العلماء ومنهم المفسرون في هذه العلاقة على قولين:

القول الأول: أن الإسلام والإيمان لفظان مؤداهما واحد في الشرع هو: تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح الأركان. ولذا فإن نفي الإيمان بالكلية عن الأعراب هو نفي للإسلام كذلك بهذا القول. وهذا القول يستلزم كونهم كافرين، كما يستلزم أن يكون الإسلام المثبت للأعراب في الآية هو على المعنى اللغوي لا الشرعي أي هو: الاستسلام ظاهراً دون الباطن خوف السِّباء والقتل، وعلى ذلك هم منافقون لإظهارهم الإسلام وإبطانهم الكفر. وهذا القول مروي عن طائفة من السلف (٥٨) منهم: مجاهد وابن زيد ومقاتل بن حيان وغيرهم وهو ما رجحه البخاري (٥٩) واختاره ابن عبد البر (٦٠)، هو قول جماعة من المفسرين (٦١) كالبغوي والقرطبي والزمخشري والألوسي والشنقيطي رحمهم الله تعالى.

القول الثاني: أن مسمى الإيمان والإسلام يختلف بحسب الإفراد والاقتران، وأن بينهما عموماً وخصوصاً.والمعنى: إذا أفرد الإيمان في نص والإسلام في نص آخر شمل كل منهما معنى الآخر، أما إذا جاء الإيمان والإسلام في نص واحد كما هو في آية الأعراب هذه فيصبح لكل منهما معناه الخاص ؛ فالإيمان حينها: هو التصديق الباطن، والإسلام: هو العمل الظاهر(٦٢).قال القاسمي: " من اللطف أن يقال في الإيمان والإسلام ما قيل في الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا" (٦٣) .كما أن بين الإيمان والإسلام عموماً وخصوصاً فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن (٦٤)، لأن المؤمن الصادق في إيمانه لا بد أن يثمر عنه عمل ظاهر، أما من عمل الأعمال الظاهرة فقط فلا توصله للإيمان الواجب وإن كان معه أصل الإيمان وهذا هو حال الأعراب المذكورين في الآية، فهم ليسوا على ذلك منافقين، لكنهم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم.قال ابن كثير: "استفيد من الآية

أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة" (٦٥) .ثم قال: "ودلّ هذا على أن هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى ما وصلوا إليه، فأدبوا في ذلك" (٦٦) . وهذا القول هو: معنى قول ابن عباس، وإبراهيم النخعي، وقتادة (٦٧)، واختيار ابن جرير رحمه الله (٦٨)، وهو ما رجحه ابن كثير وصححه (٦٩)، وهو قول ابن رجب (٧٠) والسمعاني (٧١) وابن تيمية (٧٢) وابن القيم (٧٣) وسيد قطب (٧٤) رحمهم الله جميعاً.والراجح في شأن الأعراب: ما قاله أصحاب القول الثاني والدليل على ذلك(٧٥) ما يلي:

١- أن الله تعالى أمر الأعراب بأن يقولوا چ گ چ والمنافق لايؤمر بشيء.

٢- أن الله تعالى قال لهم بعد ذلك: ﴿ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ ﴾ فدلّ ذلك على أنهم إذا حققوا الطاعة مع هذا الإسلام آجرهم الله تعالى على الطاعة، والمنافق عمله محبط في الآخرة.

٣- قول الله تعالى لهم ﴿ وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾ يدلُّ على أن دخول الإيمان منتظر منهم، فإن الذي يدخل في الإسلام ابتداء لا يكون قد حصل له إيمان، ولكنه قد يحصل فيما بعد كما هو حال عامة الذين أسلموا رغبة ورهبة، ولو كانوا منافقين لنفى الله عنهم الإسلام كما نفى الإيمان.

٤- أنهم لو كانوا منافقين لعنفهم الله تعالى وفضحهم كما ذكروا في سورة براءة وغيرها.

٥- أن الله تعالى أثبت لهم الإسلام فقال: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ ﴾ وقال: ﴿ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴾ ولو لم يكن إسلاماً صحيحاً بيّن ذلك كما بيّن كذب دعواهم الإيمان.

٦- أن الله تعالى منَّ عليهم بذلك فقال: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ ﴾ والمراد الإسلام المتضمن لأصل الإيمان، ولو كانوا منافقين لما منَّ عليهم سبحانه بذلك.

٧- لقد جاء في سبب نزول الآية أنهم أسلموا بغير قتال(٧٦)، فهؤلاء إذن كانوا أحسن إسلاماً من غيرهم ولكن الله ذمهم لكونهم منّوا بإسلامهم، وقد أنزل فيهم ﴿ ...وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ ﴾ [محمد]. فهم من جنس أهل الكبائر.

٨- أن القول بنفي الإيمان عنهم وإثبات الإسلام لهم لا يعني عدم بقاء أصل الإيمان عندهم، ولذا فإن معهم من الإيمان ما يحقق إسلامهم وما يخرجون به من النار لكن لا يقال لهم مؤمنون لعدم استكمالهم للإيمان الواجب، كما أن نفي الإيمان المطلق عنهم لا يستلزم منه نفاقهم لأنهم مسلمون معهم من الإيمان ما يثابون عليه .

٩- أن نفي الإيمان عنهم هو كنفيه عن الزاني والسارق(٧٧)وعمن لا يأمن جاره بوائقه (٧٨)، وهؤلاء المذكورون لم يقل أحد بنفاقهم رغم نفي الإيمان عنهم؛ لأن هذا النفي للإيمان الواجب لا لأصل الإيمان (٧٩)، وعلى ذلك هم مسلمون أو مؤمنون ناقصوا الإيمان .

- السر في استعمال (لم) في قوله ﴿ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ ... ﴾ .قال مكي (٨٠) رحمه الله: " إنما أتت (لم) ولم تأت (لن) لأنه نفي لماضٍ، و(لن) إنما هي نفي لمستقبل، فالقوم إنما أخبروا عن أنفسهم بإيمان قد مضى، ففي الله –تعالى– قولهم ب: (لم) ولو أخبروا عن أنفسهم بإيمان سيكون لكان النفي ب (لن) ألا ترى إلى قوله ﴿ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ ...﴿٨٣﴾ ﴾ [التوبة]، فقال : ﴿ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا ...﴿٨٣﴾ ﴾ [التوبة] لأنهم إنما قالوا: نخرج معك يا محمد، مستأذنين في خروج مؤتنف، فلذلك نفى ــ (لن) ولم ينف بـــ (لم) " (٨١) .

- **وقفة بلاغية في قوله تعالى:** ﴿ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴾ .

قيل: مقتضى الظاهر أن يقال: قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا، أو يقال: لم تؤمنوا ولكن أسلمتم. ولكن عدل عنه إلى هذا النظم إمّا احترازاً من النهي عن القول بالإيمان، والجزم بإسلامهم، وقد فقد شرط اعتباره شرعاً. وقيل: إنه من الاحتباك والذي هو في البلاغة نوع من أنواع البديع، وأصله: لم تؤمنوا فلا تقولوا آمنا، ولكن أسلمتم، فقولوا: أسلمنا، فحذف من كل منها نظير ما أثبت في الآخر.

والأول أبلغ، لأنهم ادعوا الإيمان فنفاه عنهم، ثم استدرك عليه فقال: دعوا ادِّعاء الإيمان، وادّعوا الإسلام، فإنه الذي ينبغي أن يصدر عنكم على ما فيه، فنفى الإيمان، وأثبت لهم قول الإسلام، دون الاتصاف به (٨٢).وهو أبلغ من القول بالاحتباك، مع سلامته من الحذف بلا قرينة (٨٣).قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ...﴿١٤﴾ ﴾ لما نفى الله عز وجل عن الأعراب الإيمان وأمرهم بوصف أنفسهم بالإسلام، بيّن لهم سبحانه علّة ذلك فقال: ﴿ وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾، فأنتم أيها الأعراب تستحقون وصف الإسلام لا وصف الإيمان وسبب ذلك أنكم وقت ادعائكم الإيمان لم تصلوا بعد إليه ولم تعرفوا حقائقه أو تعملوا بشرائعه الواجبة (٨٤).وفي هذا إشارة إلى توقع حصول الإيمان منهم بعد ذلك.قال الألوسي رحمه الله: "كأنه قيل: قولوا أسلمنا ما دمتم على هذه على الصفة، وفيه إشارة إلى توقع دخول الإيمان في قلوبهم بعد، فليس هذا النفي هنا تكراراً مع قوله (لم تؤمنوا)" (٨٥).

- **فائدة استعمال (لما) في قوله:** ﴿ وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾

سبب توقع حصول الإيمان منهم أنّ الله تعالى في الآية استعمل (لما) والتي تفيد النفي الماضي المستمر إلى زمن الحال بالإجماع، وتفيد أن منفيها متوقع بخلاف (لم) فإنها لا تفيد شيئا من ذلك (٨٦).قال الزمخشري في الكشاف: "وما في (لما) من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد" (٨٧).وقال السعدي في تفسيره: " فيه إشارة إلى أحوالهم بعد ذلك، فإن كثيراً منهم منّ الله عليهم بالإيمان الحقيقي، والجهاد في سبيل الله" (٨٨).قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔٗا

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يوجه الله تعالى نبيه أن يقول لهؤلاء الأعراب الذين لم يدخل الإيمان قلوبهم مع تقديم الاستسلام منهم والانقياد بعمل الأعمال الظاهرة: إن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا.

•معنى الطاعة لله ورسوله:

اختلف المفسرون في معناها بناءً على اختلافهم حول الأعراب هل هم مسلمون أم منافقون؟!

فمن قال: إنهم مسلمون فسّر الطاعة: بالائتمار بما أمر الله تعالى والانتهاء عما نهى عنه سبحانه ومن ذلك انتهاؤهم عن ادعاء الإيمان وقولهم بالإسلام.والمعنى: إن تأتمروا بما أمركم الله، وتنتهوا عمّا نهاكم، وتعملوا بما فرض عليكم فإنه سبحانه لا يلتكم من أعمالكم شيئا [٨٩].**وأما من قال: إن الأعراب منافقون** ؛ فسّر الطاعة لله ورسوله: بالإخلاص وترك النفاق. **والمعنى:** إن أخلصتم لله ولرسوله وتركتم النفاق فإنه سبحانه لا يلتكم من أعمالكم شيئا [٩٠].**والقول الأول أرجح باعتبار ترجيح أنهم مسلمون لا منافقون.**

قوله تعالى: ﴿لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاً﴾

•القراءات في الآية:

قرأ أبو عمرو: (لايألتكم) بهمزة ساكنة بين الياء واللام، ويبدل منها ألفاً إذا سهل كل همزة ساكنة.

وقرأ الباقون: (لا يلتكم) بغير همز وبعد الياء لام مكسورة.

وهما لغتان، يقال: لات يليت، ككال يكيل، وألت يألت، فمن همز أخذه من ألت يألت، ومن ترك الهمز أخذه من لات يليت والمعنى لهما واحد (٩١).

معنى قوله: ﴿لَا يَلِتۡكُم﴾ :

قال الفراء في معاني القرآن: " لا يلتكم: لاينقصكم ولا يظلمكم...." (٩٢).

وقال ابن فارس في مقاييس اللغة: " الليت: هو النقص، يقال: لاته يليته: نقصه، قال تعالى: ﴿لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاً﴾ [الحجرات: ١٤]" [٩٣].

ومعنى الآية: أي لا يظلمكم من أجور أعمالكم شيئاً، ولا ينقصكم من ثوابها شيئاً (٩٤).

يقول سيد قطب رحمه الله معلقاً: " وهذا من كرم الله تعالى فقد اقتضى أن يجزيهم على كل عمل صالح يصدر منهم لا ينقصهم منه شيئاً. فهذا الإسلام الظاهر الذي لم يخالط القلب فيستحيل إيماناً واثقاً مطئمناً. هذا الإسلام يكفي لتحسب لهم أعمالهم الصالحة، فلا تضيع كما تضيع أعمال الكفار، ولا ينقص من أجرها شيء عند الله ما بقوا على الطاعة والاستسلام: ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاً إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً" ذلك أن الله أقرب إلى المغفرة والرحمة، فيقبل من العبد أول خطوة، ويرضى منه الطاعة والتسليم، إلى أن يستشعر قلبه الإيمان والطمأنينة"(٩٥) .

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ :هذه الآية تعليل لما قبلها، فالله تعالى لما ذكر أنه لن ينقص الأعراب أجورهم، ولن يظلمهم شيئاً من ثواب أعمالهم ما داموا على الطاعة والاستسلام وإن لم يخالط الإيمان الكامل قلوبهم، بيّن لهم علة ذلك بأنه سبحانه ذو مغفرة ورحمة.ولقد اختلف المفسرون في تفسيرها على حسب حال الأعراب هل هم مسلمون أم منافقون؟ فمن قال: إنهم مسلمون فسّرها بأنه سبحانه: ذو عفو أيها الأعراب لمن أطاعه وتاب إليه من سالف ذنوبه، فأطيعوه وانتهوا إلى أمره ونهيه يغفر لكم ذنوبكم، رحيم بخلقه التابئين فلا يعاقبهم بعد توبتهم(٩٦) . ومن قال: إنهم منافقون فسّرها بأنه سبحانه: غفور رحيم بمن أطاعه ورجع إليه بالإخلاص، وتاب من النفاق، وعقد قلبه على الإيمان(٩٧).والقول الأول أرجح باعتبار ترجيح أنهم مسلمون لا منافقون .

المعنى العام للآية :

ينكر الله سبحانه و تعالى على الأعراب ادعاءهم مقام الإيمان وهم بعد لم يصلوا إليه ولم يدركوا حقائقه ولم يعملوا بشرائعه.فأمر نبيه محمداً ﷺ أن يبين لهم حقيقة حالهم، وأنهم لا يستحقون وصف الإيمان بل الوصف المطابق لحالهم أن يقولوا أسلمنا، إذ لو كانوا مؤمنين لطابقت أعمالهم قلوبهم، ولما امتنوا على رسول الله بإسلامهم .ثم بين الله تعالى لهم علة عدم استحقاقهم لوصف الإيمان، ذلك أن الإيمان لم يخالط بشاشة قلوبهم حال ادعائهم الإيمان، ومع ذلك فلا مانع أن يحصل منهم ذلك فيما بعد، أما الآن فلم يحصل منهم الإيمان الواجب. فحقيقة الإيمان لم تستقر في قلوبهم بعد، ولم تشربها أرواحهم. ومع هذا فإن كرم الله واسع، ورحمته ومغفرته لا حدود لها، فالله تعالى وعدهم أنهم متى استقروا على الطاعة والاستسلام وقدموا الأعمال الظاهرة فإن الله تعالى سيقبل منهم ما يقدمون وسيجازي كل واحد منهم بحسب ما قدم من العمل لا ينقصهم ثواب أعمالهم ولا يظلم أجورهم، وسيرضى سبحانه منهم الطاعة والتسليم إلى أن يصلوا إلى الإيمان المطلق، فيذوقوا حلاوته، ويستشعروا طمأنينته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

بعد نفي الله تعالى عن الأعراب الإيمان والإنكار عليهم في ادعائهم إياه، وأمره لهم بأن يقولوا أسلمنا وضح لهم سبحانه حقيقه الإيمان الذي لم يصلوا إليه بعد، وبذلك تتضح علة نفي الإيمان عنهم، فالعبد لا يكون مستحقاً لوصف الإيمان إلا بالصفات المذكورة في الآية.قال الرازي: " هو إرشاد للأعراب الذين قالوا آمنا إلى حقيقه الإيمان" (٩٨).وقال ابن عاشور: " هذا تعليل لقوله (لم تؤمنوا) وهو من جملة ما أمر الرسول ﷺ بأن يقوله للأعراب " (٩٩).

صفات أهل الإيمان:

يخبر الله عزوجل في الآية عن صفات أهل الإيمان الكامل والتي يكون العبد بها مؤمناً مستحقاً لهذا الوصف لا يدخل فيه غيرهم. وقد حصرها سبحانه في صفات ثلاث، والحصر هنا ليس حقيقياً بل إضافياً، لأن لأهل الإيمان صفات أخرى ذكرت في غير هذه الآية، ولعل تخصيص هذه الصفات الثلاث كونها مناسبة لحال الأعراب الذين لم يؤمنوا بالله وبرسوله وارتابوا، ولم يبذلوا أموالهم وأنفسهم بل دخلوا الإسلام لأجل الأموال والمغانم والله أعلم.وأهل الإيمان الكامل في الآية هم : أولئك الذين اتصفوا بما يلي:

١- ﴿ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ، أي صدقوا بالله ورسوله وكل ما جاء منهما تصديقاً ثابتاً مطمئنا.

﴿ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ﴾ الريب: هو الشك، أو الشك مع الخوف، أو الشك مع التهمة(١٠٠).

والمراد: قلق النفس واضطرابها وتزعزعها وعدم يقينها (١٠١).

دلالة (ثم) هنا:

١- قيل : ثم للتراخي الزماني فهم آمنوا ثم لم يحدث لهم ريبة فيما بعد عند اعتراء شبهة مثلاً، وهذا لا يعني أنهم كانوا مرتابين أولاً، بل يدل على أنهم كما لم يرتابوا أولاً لم يحدث لهم ارتياب ثانياً (١٠٢).

٢- وقيل التراخي في (ثم) تراخي رتبي، فعطف عدم الارتياب على الإيمان تنبيهاً على أن عدم الارتياب هو الأصل في الإيمان، وهو أهم رتبة من الإيمان إذ به قوام الإيمان، واستخدام (ثم) للعطف إشعاراً باستقرار الإيمان في الأزمنة المتطاولة غضاً طرياً (١٠٣).والمعنى:أن من صفات أهل الإيمان الاطمئنان والثبات والاستقرار في إيمانهم، فهم لم يشكوا ولن يشكوا في إيمانهم مهما اعتراهم من الشبه والحوادث.قال الطبري رحمه الله : " ثم لم يشكوا في وحدانية الله، ولا نبوة نبيه ﷺ، وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله، بغير شك منه في وجوب ذلك عليه"(١٠٤).وفي وصف أهل الإيمان المطلق بعدم الارتياب تعريض بأولئك الأعراب الذين ارتابوا في بعض ما آمنوا (١٠٥) ، حتى منوا على رسول الله بإسلامهم.

٣-﴿ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾أي لم يكتفوا بمجرد التصديق القلبي إنما قدموا من الأعمال ما يحقق إيمانهم (١٠٦) ويدل عليه؛ إذ العمل ثمرة الإيمان ودليله وفي هذا تأكيد لمذهب أهل السنة والجماعة القائلين بدخول الأعمال مسمى الإيمان إذ الإيمان عندهم: قول وعمل، كما أن فيه حجة على المرجئة واضحة (١٠٧).قال السيوطي في الإكليل: " فيه دليل على أن الأعمال من الإيمان" (١٠٨).الحكمة من تقديم الأموال على الأنفس في هذه الآية:

١- أن ذلك من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى.

٢- لحرص الكثير على الأموال حتى يهلك نفسه من أجلها (١٠٩).

٣- لأن بذل المال في إعداد العدة والعتاد يكون قبل بذل النفس في الجهاد .

٤- للرد على هؤلاء الأعراب الذين لم يكتفوا بعدم بذل أموالهم وأنفسهم في طاعة الله بل أسلموا رغبة في المغانم والصدقات ومنّوا على رسول الله بإسلامهم هذا (١١٠).

- **المراد بقوله ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:**

١- القتال للكفار إعلاء لكلمة الله:قال الطبري: " وجاهدوا المشركين بإنفاق أموالهم وببذل مهجهم في جهادهم، على ما أمرهم الله به في جهادهم، وذلك سبيله، لتكون كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى" (١١١).

٢- عموم العبادات والطاعات كلها:قال القاسمي: " وقدمنا مراراً أن قصر (في سبيل الله) على غزو الكفار المعتدين، من باب قصر العام على أهم أفراده وأعلاها، وإلا فسبيل الله يعم العبادات والطاعات كلها، لأنها في سبيله وجهته" (١١٢).﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ :(أولئك) : اسم إشارة للبعيد وقد ذكر في الآية لبيان منزلة المشار إليهم وهم أهل الإيمان الكامل، فمنزلتهم عالية ومكانتهم عند الله سامية.(هم) : ضمير للغائب وهو ضمير فصل، فُصل به بين المبتدأ وخبره، وفائدته هنا: لإفادة الحصر، فالمشار إليهم هم وحدهم الصادقون في إيمانهم لا غيرهم.

ومعنى الآية:

أي المتصفون بتلك الصفات هم الصادقون في إيمانهم، المحققون له على الوجه المطلوب لا غيرهم ممن قدم العمل دون أن يستقر الإيمان في قلبه، وفي هذا تعريض بكذب أولئك الأعراب في ادعائهم الإيمان [١١٣].

المعنى العام للآية:

بعد أن أنكر الله سبحانه على الأعراب دعوى الإيمان ونفاه عنهم بين لهم سبحانه حقيقه الإيمان الذي يكون العبد به مستحقاً به لوصف الإيمان. إنه الإيمان الذي لا يخالطه شك ولا يرد عليه ارتياب. إنه التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب ولا يتلجلج فيه القلب أو النفس مهما ادلهمت الخطوب وظهرت الابتلاءات.ثم هذا الإيمان ليس في القلب فحسب بل هو ظاهر في واقع الحياة، ومن هنا الانطلاق إلى الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، فلولا العمل لما عُلم الإيمان.أولئك فقط هم الصادقون في عقيدتهم، وهم الصادقون حين يقولون: أنهم مؤمنون. أما من لم يكن كذلك علم أنه ليس بصادق في دعواه.قال القاشاني[١١٤]: " في الآية إشارة إلى الإيمان المعتبر الحقيقي، وهو الثابت في القلب لا الذي يكون على سبيل الخطرات، فالمؤمنون هم الموقنون الذين غلبت فيهم ملكة اليقين حتى تأثرت بما في قلوبهم جوارحهم، فلم يمكنها إلا الجري بحكمها، ومن هنا بذل المال والنفس الذي هو مقتضى اليقين الراسخ، وأثره في الظاهر "[١١٥] .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾.

- سبب نزول الآية:قال القرطبي: "لما نزلت ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ ... ﴾ حلف الأعراب أنهم مؤمنون في السر والعلانية وكذبوا ، فنزلت ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ... ﴾ "(١١٦).﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ﴾ أي قل لهؤلاء الأعراب بأفواههم (آمنا) أتخبرون الله (بدينكم): أي بطاعتكم لربكم، وبما في قلوبكم من الإيمان (١١٧).
- نوع الاستفهام ودلالته في قوله ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ ... ﴾

والاستفهام هنا للإنكار عليهم إذ كيف يخبرونه سبحانه عمّا في قلوبهم وهم يعلمون أنه عالم بكل شيء محيط بهم وبأفعالهم، علام جميع ما في السموات السبع والأرضين السبع.﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ بل ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ بكل ماكان وما هو كائن وما يكون ذو علم.

قال الطبري رحمه الله: " وإنما هذا تقدم من الله إلى هؤلاء الأعراب بالنهي عن أن يكذبوا ويقولوا غير الذي هم عليه في دينهم. فالله محيط بكل شيء، عالم به، فاحذروا أن تقولوا خلاف ما يعلم من ضمائر صدروكم، فتتالكم عقوبة، فإنه لا يخفى عليه شيء"(١١٨).ويقول القاسمي رحمه الله: " وفي هذا تجهيل لهم وتوبيخ، لأن قولهم (آمنا) إن كان إخباراً للخلق فلا دليل على صدقه، وإن كان للحق تعالى فلا معنى له ؛لأنهم كيف يعلمونه وهو العالم بكل شيء" (١١٩).ثم أشار الله تعالى إلى نوع آخر من سوء أدبهم ، وجفاء طبعهم مختوما بتوعدهم ؛ فقال عز شأنه:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

- **معنى المن في قوله** ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ ﴾

المَنُّ: ذكر المعروف والإحسان، وتعداد النعم على المنعم عليه.والمنة: النعمة الثقيلة التي لا يستثيب مسديها(١٢٠).قال في المفردات: " المنة إما أن تكون بالفعل فيقال: منّ فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة، وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ وذلك على الحقيقة لا يكون إلّا لله. وإما أن تكون المنة بالقول وهو مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة، ولقبح ذلك قيل: المنّة تهدم الصنيعة، ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كُفرت النعمةُ حسُنتِ المنةُ.

وقوله: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ ﴾ فالمِنة منهم بالقول، ومنّة الله بالفعل وهو هدايتهم إياهم كما ذكر" (١٢١).

- **إعراب أن في قوله** ﴿ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ﴾

أن: في موضع نصب على تقدير لأن أسلموا، ويجوز أن يكون (أن أسلموا) مفعول لأجله: أي يتفضلون عليك لأجل إسلامهم.وفي هذا إشارة إلى قول الأعراب: جئناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان (١٢٢).

●دلالة الآية:قال الرازي في تفسيره: " في هذه الآية بيان لقبيح فعلهم، وذلك لأن الإيمان له شرفان:أحدهما: بالنسبة إلى الله تعالى وهو تنزيه الله عن الشرك وتوحيده في العظمة.

وثانيهما: بالنسبة إلى المؤمن فإنه ينزه النفس عن الجهل ويزينها بالحق والصدق، فهم لا يطلبون بإسلامهم جانب الله، ولا يطلبون شرف أنفسهم بل منّوا ولو علموا أنّ فيه شرفهم لما منوا به بل شكروا" (١٢٣).

المعنى العام للآية:

يتفضلون عليك يا محمد بأنهم أسلموا وانقادوا، فقل لهم ﴿ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ .أي: لا تمنوا أيها الأعراب عليّ بهذا الإسلام، المسمى إسلاماً لا إيماناً، لأن نفع ذلك يعود عليكم، فلا ثمرة منه إليّ، وإن كان من منّة فهي لله عليكم بأن هداكم للإيمان ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في قولكم (آمنا) لكن علم الله كذب ما في قلوبكم بدليل منكم ذاته، ولإطلاعه على الغيب(١٢٤).قال السيوطي في الإكليل: " فيه رد على القدرية والمعتزلة (١٢٥) القائلين: إن العبد يهدي نفسه"(١٢٦).

فائدة إضافة الإسلام إليهم دون الإيمان:قال الألوسي: " وفي قوله تعالى (إسلامكم) بالإضافة ما يدل على أن ذلك غير معتد به، وأنه شيء يليق بأمثالهم فأني يخلق بالمنة، وللتنبيه على أن المراد بالإيمان الإيمان المعتد به لم يضفه عزوجل، ونبه سبحانه بقوله جل وعلا: ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ على أن ذلك كذب منهم [١٢٧] .**ثم ختم الله عز وجل السورة بقوله:**

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

القراءات في الآية:

قرأ ورش بترقيق الراء في قوله (بصير)، وقرأ الباقون بتفخيمها.وقرأ ابن كثير وأبان عن عاصم (بما يعملون) بالياء، وقرأ الباقون(بما تعملون) بالتاء.وحجة ابن كثير قوله تعالى قلبها: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ ...﴿١٥﴾ ﴾؛أي: والله بصير بما يعمل المؤمنون .وحجة الباقين: قوله قبلها: ﴿ لَا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ ...﴿١٧﴾ ﴾ فخاطبهم ثم قال:﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [١٢٨].

المعنى العام للآية:

أعاد الله عز وجل ذكر علمه الشامل المحيط بكل ما في السموات والأرض وزاد بالتصريح بعلمه لخباياهما، وكما علم سبحانه الأمور الغائبة فإنه يعلم الأمور الظاهرة، إذ هو بصير بكل ما

يعملون كما أنه عليم بكل ما يسرون ويعلنون، ولذا لا يخفى عليه الصادق منكم أيها الأعراب من الكاذب [١٢٩].

- **فائدة:**

و قال ابن عاشور: "﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ عطف على جملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ وهو من باب عطف الأخص على الأعم، لأنه لما ذكر أنه يعلم الغيب وكان شأن الغائب أن لا يرى عطف عليه علمه بالمبصرات احتراساً من أن يتوهموا أن الله يعلم خفايا النفوس وما يجول في الخواطر ولا يعلم المشاهدات، ولهذا أوثر هنا وصف (بصير)" [١٣٠].**ويقول سيد قطب معلقاً على الآية:**"والذي يعلم غيب السموات والأرض يعلم غيب النفوس، ومكنون الضمائر، وحقائق الشعور ويبصر ما يعمله الناس، فلا يستمد علمه بهم من كلمات تقولها ألسنتهم، ولكن مشاعر تجيش في قلوبهم، وأعمال تصدق ما يجيش في القلوب..." [١٣١].وهكذا نجد الله تعالى يختم هذه السورة بكل ما احتوته من المناهي بالتذكير بعلم الله الشامل المحيط، وببصيرته بكل ما يعملون، ليكون ذلك العلم وتلك البصيرة الضمانة الحقيقية لعدم الوقوع فيما نهى عنه في السورة، والسياج الواقي والحصن المنيع الذي يحول دون تجاوز حدود الأدب مع الله تعالى أو مع رسوله ﷺ أو مع غيرهما.

الخاتمة

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد إمام المتقين، سيد العالمين وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:فإن الله تعالى منّ عليّ بالعيش مدة هذا البحث مع آيات من سورة الحجرات أتفيأ ظلالها، وأتجول في رياضها، وأرتشف من معينها، وأتم نعمه عليّ بالوقوف مع ما سطره العلماء الأفذاذ في القديم والحديث، فله سبحانه كامل شكرى بالجنان واللسان والأركان.**ولعلى أختم بذكر بعض الفوائد المبثوثة في هذا البحث ومنها:**المعنى المطلق للإيمان هو الشامل للأعمال الباطنة والظاهرة.العلاقة بين الإسلام والإيمان علاقة قائمة على أساس قاعدة: (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا).نفي الإيمان المطلق لا يعني الكفر إنما نقص الإيمان.

الراجح في شأن الأعراب المذكورين في سورة الحجرات أنهم مؤمنون ناقصوا الإيمان أو مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم.وصف الإسلام ثابت للأعراب ما دام قد أثبته الله لهم، فهم ليسوا بمنافقين.قبول الأعمال ممن لم يستحكم الإيمان في قلبه كرماً من الله وتفضلاً.

في الآيات حجة ظاهرة لمذهب أهل السنة والجماعة في تفريقهم بين الإيمان والإسلام وفي دخول الأعمال في مسمى الإيمان.يعد الجهاد بالمال والنفس أفضل الأعمال المحققة للإيمان.

٩- يعد الإيمان الركيزة الأساس التي تدور حزلها سورة القرآن مهما اختلفت موضوعاتها ومهما اختلف وقت نزولها ومكانه.

١٠- التنبيه لطريق المجد الحقيقي، إنه الطريق الذي يجمع بين التصديق والعمل .

١١- وجوب استحضار منة الله على العبد أن وفقه لطاعته، والحذر من تسرب شعور المنة من العبد على الله فإنه محبط للعمل ومُذْهِب للإيمان.

١٢- ظهور الإعجاز البياني للقرآن في الآيات، إذ عبّر الله تعالى عن المعاني المراد بأدق الألفاظ وأحسنها كما ذكره المفسرون المعتنون بالبلاغة كالزمخشري والألوسي وابن عاشور في عدة مواضع.

فهرس المصادر والمراجع

١- **الإتقان في علوم القرآن**، للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط (١) ،١٤٢١هـ -٢٠٠٠م

٢- **أسباب النزول**، للواحدي علي بن أحمد، تحقيق: عصام بن عبد المحس الحميدان، دار الإصلاح، الدمام – المملكة العربية السعودية، ط (٢)، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣- **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: د/محمد بن سعد آل سعود، معهد االبحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة ط (١)، ١٤٠٩هـ .

٤- **الإكليل في استنباط التنزيل**، للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: د/ عامر العرابي، دار الأندلس الخضراء، جدة- المملكة العربية السعودية ،ط (١)، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م .

٥- **البرهان في علوم القرآن**، للزركشي محمد بن عبد الله، تعليق وتخريج: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان،ط (بدون)، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٦- **تفسير ابن أبي العز (تفسير القرآن)**، لعز الدين عبد العزيز بن عبدالسلام، دار ابن حزم، بيروت- لبنان ط(١)، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٧- **تفسير ابن رجب الحنبلي**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، جمع وتعليق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، الرياض، المملكة ،ط (١)، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٨- **تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير)**، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر تونس، ط (بدون)، ت (بدون).

٩- **تفسير ابن القيم (بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم)**، جمعه ووثقه: يسري السيد محمد، دار الجوزي، الدمام- المملكة، ط (١)، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

١٠- **تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض- المملكة، ط (١) ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.

١١- **تفسير أبو السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)**، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط (١) ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

١٢- **تفسير الألوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)**، لأبي الفضل محمود الألوسي البغدادي، قرأه وصححه: محمد حسين العرب، دار الكفر، بيروت – لبنان، ط بدون، ت (بدون).

١٣- **تفسير البغوي (معالم التنزيل)**، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض- المملكة – ط (٢)، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

١٤- **تفسير الثعلبي (الكشف والبيان)**، لأبي إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث، بيروت- لبنان، ط (١)، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.

١٥- **تفسير الرازي (التفسير الكبير)**، للإمام الفخر الرازي، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث، بيروت- لبنان، ط (٤)، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

١٦- **تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأيل)**، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تخريج وتعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت – لبنان، ط (١) ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٧- **تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)**، للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي مؤسسة الريان، بيروت – لبنان، ط (بدون)، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

١٨- **تفسير السمعاني (تفسير القرآن)**، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار الشافعي، تحقيق: أبي تميم وأبي بلال، دار الوطن، الرياض- المملكة، ط (١)، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

١٩- **تفسير السيوطي (الدر المنثور في التفسير بالمأثور)**، للسيوطي عبدالرحمن بن أبي بكر، دارالفكر، بيروت- لبنان، ط (بدون)، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٢٠- **تفسير الشربيني (السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم)**، لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (بدون)، ت (بدون).

٢١- **تفسير الشنقيطي (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)**، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة- مصر، ط (بدون) ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٢٢- **تفسيرالطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة، ط (١)، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٣م.

٢٣- **تفسير القاسمي (محاسن التأويل)**، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت- لبنان، ط (١)، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

٢٤- **تفسير القرطبي (الجامع لأحكم القرآن)**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: الحفناوي ومحمود عثمان، دار الحديث، القاهرة، ط (بدون)، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٥- **تفسير القنوجي (فتح البيان في مقاصد القرآن)**، لأبي الطيب صديق بن حسن القنوجي، راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط (بدون)، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٦- **تقريب التهذيب**، للحافظ ابن حجر أحمد العسقلاني، تحقيق: أبو الأشبال صغير، تقديم: بكر بن عبد الله، دار العاصمة، الرياض، ط (١)، ١٤١٦هـ.

٢٧- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لابن عبد البر يوسف بن عبد الله، تحقيق: أسامة بن إبراهيم، الفاروق للنشر والطباعة، القاهرة، ط (٣)، ١٤٢٥هـ

٢٨- **تهذيب اللغة، للأزهري محمد بن أحمد**، تحقيق: د/رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت-لبنان ط (١) ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٢٩- **جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط (٥)، ١٤١٤هـ .

٣٠- **جمهرة أنساب العرب لابن حزم على بن أحمد**، راجعه: لجنة من العلماء بإشراف: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط (١)، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٣١- **الحجة لابن خالوية**، تحقيق: د/ عبدالعال مكرم، مؤسسة الرسالة، ط (٥)١٤١٠هـ -١٩٩٠م.

٣٢- **دراسات قرآنية**، محمد قطب، دارالشروق، القاهرة- مصر، ط (٨)، ١٤٢٥هـ.

٣٣- **السبعة**، لابن مجاهد أبي بكر أحمد بن موسى البغدادي، تحقيق: د/شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط (٢)، ١٤٠٠هـ

٣٤- **سير أعلام النبلاء**، للذهبي محمد بن أحمد، أشرف على تحقيقه، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (٧)،١٤١٠هـ .

٣٥- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، للالكائي أبي القسام هبة الله، تحقيق: د/ أحمد سعد الغامدي، دار طيبة للنشر، (١)، ١٤٠٩ هـ.

٣٦- **شرح السنة**، للبغوي حسين بن مسعود، تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط (٢)، ١٤٠٣هـ.

٣٧- **شرح العقيدة الطحاوية**، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، وتخريج: محمد الألباني ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط (٨) ١٤٠٤هـ.

٣٨- **صحيح البخاري**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط (١)، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣٩- **صحيح مسلم**، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط (بدون)، ت (بدون).

٤٠- **في ظلال القرآن**، لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط (١٧)، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٤١- **مجمع الزوائد ومنبع الفوئد**، للهيثمي علي بن أبي بكر، تحقيق: عبد الله الدرويش، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط (بدون)، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

٤٢- **لسان العرب**، لابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري، طبعة مصححة ومراجعة بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المتخصصين، دار الحديث، القاهرة، ط (بدون) ت (بدون).

٤٣- **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم أبي عبدالله محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: عبدالسلام علوش دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط (٢) ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٤٤- **مشكل إعراب القرآن**، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د/حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (٣) ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٤٥- **معاني القرأن**، للفراء يحي بن زياد، تحقيق: د/ عبد الفتاح شلبي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة- مصر، ط (بدون)، ٢٠٠٢م.

٤٦- **معجم الأدباء**، لياقوت الحموي، دار الفكر بيروت، ط (٣)، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٤٧- **المفردات في غريب القرآن**، للراغب الأصفهاني، ضبطه: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط (١) ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٤٨- **مفردات القرآن**، للإمام عبد الحميد الفراهي، تحقيق: د/ محمد الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط (١)، ٢٠٠٢م.

٤٩- **النسب**، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: مريم الدرع، تقديم: د/سهيل زكار، دار الفكر، ط (١)،١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

٥٠- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، الطبعة الهندية.

٥١- **نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام**، للإمام محمد بن علي الكرجي القصاب، تحقيق: د/شايع بن عبده الأسمري، دار ابن القيم، الدمام، ودار ابن عفان، القاهرة، ط (١)، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٥٢- **نواسخ القرآن**، لابن الجوزي، تحقيق: محمد أشرف علي الملباري، إحياء التراث، المدينة، ط (١)، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

هوامش البحث

(١) انظر: تفسير السمعاني (٢١٢/٥)، تفسير العز بن عبد السلام ص (٥٤١)، وتفسير ابن عاشور التحرير والتنوير (٢١٣/٢٦ وتفسير الثعالبي (١٦٥/١)، وتفسير ابن عطيه المحرر الوجيز (١٢٧/٥).

(٢) انظر: الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢٦/١)، وتفسير الآلوسي (١٩٨/١٤)، وتفسير ابن عاشور (٢١٣/٢٦).

(٣) انظر: تفسير ابن عاشور(٢١٣/٢٦).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢٥٢/١)، الاتقان(٣٦/١)، تفسير ابن عاشور (٢١٣/٢٦)، أسباب النزول للواحدي ص (٣٩١-٣٩٥).

(٥) رواه ابن مردويه في تفسيره (٧/٤)، وذكره السيوطي في جامع الأحاديث برقم (٢٩٢٠١)، وعلي الهندي في كنز العمال برقم (٤٦٠٨).

(٦) عن عبد الله بن مسعود قال: " كل شيء نزل فيه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ فهو مكة، وكل شيء نزل فيه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فهو بالمدينة" رواه البيهقي في دلائل النبوة، باب ذكر السور التي نزلت بمكة برقم (١٤٤/٧/٣٠٧٠)، والحاكم في مستدركه كتاب الهجرة برقم (٤٣٥١) (٥٥٦/٣) وصححه، وكذا البزار في مسنده برقم (١٥٣١) (٢٦٠/١) ثم قال: وهذا يرويه غير قيس عن علقمة مرسلا، ولا نعلم أحدا أسنده إلا قيس" ورواه ابن مرودويه في تفسيره (٥/٤) عن ابن عباس وذكر نحوه عن عروه بن الزبير. وانظر: البرهان (٢٤٢/١-٢٤٤)، تفسير الألوسي (١٩٨/١٤) والحديث أعله الدار قطني في العلل (١٦٨/٥) للاختلاف فيه .

(٧) انظر: البرهان (٢٣٩/١)، الإتقان (٢٠/١).

(٨) عزاه السيوطي في الدر االمنثور (٥٤٦/٧) لابن مردوية(٥/٤) والبيهقي، وابن الضريس وابن والنحاس عن ابن عباس ﷺ قال: نزلت سورة الحجرات بالمدينة.

(٩) هو محمد بن عبد الله الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله، ولد سنة (٧٤٥هـ) تركي الأصل مصري المولد والوفاة، أصولي في فقه الشافعية، محرر في عدد من العلوم، من مؤلفاته: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ، اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة، وغيرها، توفي سنة (٧٩٤هـ)، انظر : شذرات الذهب لا بن العماد (٣٥٥/٦) والدرر الكامنة لابن حجر (٣٩٧/٣).

(١٠) البرهان (٢٤٤/١-٢٤٥).

(١١) تفسير الألوسي روح المعاني (١٩٨/١٤).

(١٢) انظر: تفسير الرازي (١١٠/١٠) .

(١٣) تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير (٢١٣/٢٦)، وانظر: الاتقان فصل فيما استثنى من الآيات عن سوره (٣٣/١-٣٤).

(١٤) انظر: تفسير الطبري (٣٤٢/٢١)، تفسير البغوي (٣٣٤/٧)، تفسير السمعاني (٢١٣/٥)، تفسير ابن عاشور (٢١٣/٢٦)، أسباب النزول للواحدي ص (٣٨٧).

(١٥) انظر: الإتقان فصل في عدد الآي(١٣٥/١).

(١٦) تفسير ابن عاشور (٢٦/ ٢١٣).

(١٧) المفصل: ما يلي المثاني من قصار السور، سمي مفصلاً لكثرة الفصول بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم، وقيل: لقلة المنسوخ فيه، وآخره: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ، وأما أوله فمختلف فيه إلى (١٢) قولاً. انظر: البرهان (٣٠٨/١)، الاتقان(١٢٧/١).

(١٨) انظر: البرهان (٣٠٩/١)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، للجزائري (٢٣١/٨)، التعريف بسورة المصحف (١١٩/٥).

(١٩) انظر: الإتقان (١٢٧/١).

(٢٠) انظر:البرهان (٤٠/٢)، نواسخ القرآن لابن الجوزي ص (١٢٣) .

(٢١) انظر: البرهان (٣٣٧/١)، الإتقان (١١٠/١) حيث لم يوردها في السور التي تعددت أسماؤها.

(٢٢) تفسير ابن عاشور (٢١٣/٢٦) وانظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٢٢٠/٧).

(٢٣) هذا قول القاسمي في تفسيره محاسن التأويل (٢٨٩/٦).

(٢٤) رواه الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (٦٩/٩)، وابن مردويه والواحدي في الوسيط كما عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣٥٣/٣) وذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف ص (١٠٤٢) والبيضاوي في تفسيره(٣/ ٤١٩)، وقال المناوي في كتابه الفتح السماوي بتخريج أحاديث البيضاوي برقم (٨٩٩) (١٠٠٦/٣): "موضوع"، وقال الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز (٣٠٢/١): " حديث أبي ضعيف جدا":

(٢٥) رواه أبو منصور في مسند الفردوس وقال ابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة (٣٠٦/١): "لم يذكر علته وفيه حاتم بن ميمون، قال في المغني: قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به، وفيه أيضا محمد بن أحمد بن إبراهيم أبوالطيب المخرمي عن محمد الخزاز عن أبي الربيع سليمان بن داود، لا أعرفه".

(٢٦) رواه أحمد في مسنده (١٠٧/٤)، والطبراني في الكبير برقم (١٨٧،١٨٦) (٧٥/٢٢-٧٧) والطحاوي في المشكل (١٥٤/٢) والبيهقي في الشعب برقم (٢٢٥٥،٢١٩٢) وابن جرير في

تفسيره (٩٧/١) كلهم من حديث واثلة مرفوعاً به. قال الهيثمي في مجمع الزائد (٤٩/٧) "رواه أحمد وفيه عمران وفيه عمران القطان، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات" وذكره ابن كثير في تفسيره (٥٥/١) وقال:"هذا حديث غريب، وسعيد بن بشير فيه لين"، وانظر: البرهان (٣٠٧/١).

(٢٧) هذا ما كتب في كتاب نظم الدرر للبقاعي، والذي يظهر أنه خطأ من الناسخ أوغيره، فالمقصود هنا سورة (الفتح) فإنها هي السورة التي ملئت بتعظيمه وهي التي ختمت باسمه ومدح أتباعه لأجله، فقد قال تعالى في آخر آية فيها: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ... ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح] والله أعلم .

(٢٨) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٣٣٨/٧)، وانظر: تفسير الشربيني السراج المنير (٣٢/٤) وتفسيرالفخر الرازي (٩١/١٠).

(٢٩) روح المعاني (١٩٨/١٤).

(٣٠) انظر: تفسير الفخر الرازي (٩١/١٠)، تفسير الألوسي (١٩٩/١٤).

(٣١) انظر: نظم الدرر للبقاعي (٣٣٨/٧)، تفسير الفخر الرازي (٩٧/١٠).

(٣٢) نظم الدرر للبقاعي (٧/ ٢٢٠).

(٣٣) دراسات قرآنية لمحمد قطب ص (٢١-٢٢) .

(٣٤) في ظلال القرآن، سيد قطب (٣٣٣٧/٦) .

(٣٥) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت، وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة بضع عشرة، انظر تقريب التهذيب لابن حجر، ترجمة (٥٥٥٣) ص (٧٩٨) .

(٣٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٩١/٢١)، وابن المنذر والطبراني في الكبير والأوسط وابن مردويه نحوه عن عبد الله بن أوفي، قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه الحجاج بن أرطأة وهو ثقة، وبقية رجاله رجال الصحيح" مجمع الزوائد (١١٢/٧) ولم أجده في المعجم الكبير المطبوع لكنه موجود في مجمع البحرين في زوائد المعجمين (٧٤/٦)، كما حسن السيوطي إسناده في لباب النقول ص (١٩٩). وتحسين السيوطي للإسناد، وتوثيق الهيثمي للحجاج فيه نظر لتضعيف أحمد وابن معين له، وقال ابن حجر في تقريب التهذيب: ت(١٢٢٧) ص (٢٢٢) "صدوق كثير الخطاء".

(٣٧) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة إمام في التفسير والعلم من الثالثة، مات سنة (١٠١) أو (١٠٢) أو (١٠٣) أو (١٠٤) وله (٨٣) سنة. انظر: تقريب التهذيب ص (٥٢٠).

(٣٨) بنو أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهم بطن كبير متسع وذو بطون، وبلادهم مما يلي الكرخ من أرض نجد في مجاورة طيئ.

انظر: النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام ص (٢٤٤)، جمهرة أنساب العرب لابن حزم علي بن أحمد ص (١١) .

(٣٩) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٨٨/٢١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٩٩/٦) إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وروى النسائي مثله عن ابن عباس ﷺ في السنن الكبرى برقم (١١٥١٩) والبزار في مسنده بإسناد صحيح إلا أن في سماع أبي عوف من سعيد بن جبير كلام.

انظر: تفسير ابن كثير (٣٩١/٧) وتهذيب التهذيب لابن حجر برقم (٥٣٢).

(٤٠) السدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، الإمام المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي السُّدي الكبير، أحد موالي قريش، صدوق يهم، ورمي بالتشيع، من الرابعة، مات سنة (١٢٧هـــــ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦٤/٥)، تقريب التهذيب ص (١٠٨) .

(٤١) ذكره القرطبي في تفسيره (٦١٠/٨)، والبغوي في تفسيره (٣٥٠/٧) وابن الجوزي في زاد الميسر في علم التفسير (٤٧٦/٧)، والثعلبي في الكشف والبيان (٨٩/٩) والألوسي في تفسيره (٢٥٠/١٤).

(٤٢) رواه الطبري عن ابن عباس في تفسيره (٣٩٠/٢١) وعزاه السيوطي في الدر المثور (١٠٠/٦) لابن مردويه وذكره القرطبي في تفسيره (٦١٠/٨) .

(٤٣) رواه الطبري في تفسيره (٣٨٩/٢١) عن ابن زيد ونحوه عن الزهري.

(٤٤) انظر: تفسير القرطبي (٦١٠/٨) وتفسير البغوي (٣٤٩/٧)، وتفسير ابن كثير (٣٨٩/٧) وتفسير الألوسي روح المعاني (٢٥٠/١٤)، وتفسير الزمخشري الكشاف ص (١٠٤٢)، وأسباب النزل للواحدي ص (٣٩٦).

(٤٥) انظر: تفسير الطبري (٣٩٢/٢١) .

(٤٦) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (٣٩١/٢١)، وعبد الله الرزاق في تفسيره (٢٣٣/٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٠٠/٦) إلى ابن المنذر. وذكره عنه المفسرون كالقرطبي (٦١٠/٨) والألوسي في تفسيره (٢٥٠/١٤)، وانظر: نكت القرآن للقصاب (١٨٤/٤).

(٤٧) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس أحمد بن زكريا، مادة (عرب) ص (٧٣٩) تهذيب اللغة للأزهري محمد بن أحمد مادة (عرب) (٢٣٧٨)، مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، مادة (عرب) ص (٣٣١).

(٤٨) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٣٧٨/٣)، لسان العرب لا بن منظور (١٥٤/٦) .

(٤٩) هو الأزهري محمد بن أحمد، أبو منصور، اللغوي، الشاطبي، أخذ عن نفطويه والابن السراج ولم يلق الزجاج، وكان قد لحقه الإسار في عهد القرامطه، ورقع في سهم أعرب من البادية، وقد استفاد من مخالفتهم، له مؤلفات منها: تهذيب اللغة، انظر: معجم الأدباء للحموي (١٦٤/١٧) .

(٥٠) تهذيب اللغة للأزهري (٢٣٧٨/٣) .

(٥١) راجع البحث عند الكلام حول أسباب نزول الآية ص (١٨-١٩).

(٥٢) تفسير الشوكاني فتح القدير (١٠٣/٥).

(٥٣) انظر: تفسير القنوجي فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥٤/١٣).

(٥٤) انظر: شرح السنة للبغوي (٣٨/١)، التمهيد لا بن عبد البر (٢٣٨/٩)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٨٨٦/٥)، الإيمان لابن تيمية ص (١٦٣) .

(٥٥) انظر: تفسير ابن القيم بدائع التفسير (١٨٣/٤) .

(٥٦) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، عالم بالتفسير والأصول، والفقه والحديث واللغة، له مؤلفات أشهرها أضواء البيان، توفي في مكة سنة (١٣٩٣هـ)، انظر: ترجمة الشيخ محمد الأمين، د/ عبد الرحمن السديس ص (٧٥/١١/٩) .

(٥٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي محمد الأمين (٦٣٦/٧).

(٥٨) انظر: أقوالهم في تفسير الطبري (٣٩٢/٢١)، وتفسير ابن كثير (٣٨٩/٧)، وتفسير ابن رجب الحنبلي (٢٩٠/٢) .

(٥٩) انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب (إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل) (١٥/١)، وفتح الباري لا بن حجر (١٠٨/١)، تفسير ابن كثير (٣٨٩/٧) .

(٦٠) انظر: تفسير ابن رجب الحنبلي (٢٩٠/٢) التمهيد لابن عبد البر (٢٤٧/٩) .

(٦١) انظر: تفسير البغوي (٣٥٠/٧)، وتفسير القرطبي (٦١٠/٨)، وتفسير الزمخشري الكشاف ص (١٠٤٢) وتفسير الألوسي (٢٥١/١٤)، وتفسير الشنقيطي أضواء البيان (٦٣٧/٧).

(٦٢) انظر: الإيمان لابن تيمية (٣٤٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكلائي (٨١٢/٤). تفسير أبو المظفر السمعاني (٢٣٠/٥)، وتفسير ابن كثير (٣٨٩/٧)، وتفسير ابن رجب الحنبلي (٢٩٣/٢).

(٦٣) تفسير القاسمي محاسن التأويل (٣١٠/٦) .

(٦٤) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ص (٢٧)، أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي (١٦٠/١-١٦١) .

(٦٥) تفسير ابن كثير (٣٨٩/٧)، وانظر: الإيمان لابن تيمية ص (٣٤٢/٣٤١)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص (٣٩٠) .

(٦٦) تفسير ابن كثير (٣٨٩/٧) .

(٦٧) انظر: أقوالهم في تفسير الطبري (٣٩١،٣٩٠/٢١) وراجع تفسير ابن كثير (٣٨٩/٧)، وتفسير ابن رجب الحنبلي (٢٩٠/٢-٢٩٣).

(٦٨) انظر: تفسير الطبري (٣٩٢/٢١)، وراجع تفسير ابن كثير (٣٨٩/٧) .

(٦٩) انظر: تفسير ابن كثير (٣٨٩/٧) .

(٧٠) انظر: تفسير ابن رجب (٢٩٤/٢) .

(٧١) انظر: تفسير السمعاني (٢٣١/٥) وانظر: تفسير ابن رجب (٢٩٤/٢).

(٧٢) انظر: الإيمان لابن تيمية ص (٢٣٨،٢٣٩) .

(٧٣) انظر: تفسير ابن القيم بدائع التفسير (١٨٣).

(٧٤) في ظلال القرآن (٣٣٤٩/٦) .

(٧٥) انظر هذه الأدلة في تفسير ابن القيم (١٨٣/٤) الإيمان لا بن تيمية ص (٢٣٨،٢٣٩) وارجع ص (٢٣٢)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص(٣٩٣)، تفسير ابن كثير (٣٨٩/٧)، تفسير ابن رجب الحنبلي (٢٩٨/٢) .

(٧٦) راجع أسباب النزول في البحث ص (١٨-١٩) .

(٧٧) قال ﷺ: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن " رواه االبخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ ﴾ حديث رقم (٥٥٧٨) ومسلم في صحيحه ،كتاب الإيمان، باب: نقصان الإيمان، حديث رقم (٥٧) (٧٦/١) .

(٧٨) عن أبي شريح قال: قال ﷺ : " والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لايؤمن، قيل : ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لايأمن جاره بوائقة" رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: إثم من لا يامن جاره بوائقه، حديث رقم (٦٠١٦)، وأخرجه مسلم من طريق أبي هريرة ﷺ بنحوه في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: تحريم إيذاء الجار حديث رقم (٤٦) (٦٨/١).

(٧٩) انظر: فتح الباري (٤٤١/١٠) .

(٨٠) هو مكي بن أبي طالب ابن مختار القيسي، كان إماماً في القراءة، نحوياً أديباً حافظاً، له عدد من المؤلفات المشهورة منها: التبصرة في القراءات، الإبانة عن معاني القرآن، مشكل إعراب القرآن، وغيرها، توفي في قرطبة سنة (٤٣٧هـ).

انظر ترجمته في: معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٦٧/١٩)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٩١/١٧)، غاية النهاية لابن الجزري (٣٠٩/٢) .

(٨١) انظر: مشكل إعرب القرآن لمكي بن أبي طالب (٣١٦/٢) .

(٨٢) القول بأنهم لم يتصفوا بالإسلام فيه نظر، فما دام أن الله أثبته لهم فلا ينفى عنهم لكنه ليس هو الإيمان الواجب وراجع الرد على من قال أنهم منافقون لا مسلمون في هذا البحث ص (٢٤).

(٨٣) تفسير القاسمي (٣١٠/٦)، وانظر: تفسير الكشاف للزمخشري ص (١٠٤١)، وتفسير الألوسي (١٤/ ٢٥١)، وتفسير أبو السعود (١١٩/٦) .

(٨٤) انظر: تفسير الطبري (٣٩٢/٢١) وتفسير السمعاني (٢٣١/٥)، تفسير البغوي (٣٥٠/٧)، تفسير ابن كثير (٣٨٩/٧)، في ظلال القرآن (٣٣٤٩/٦) .

(٨٥) تفسير الألوسي روح المعاني (٢٥١/١٤)، وقوله يخالف قول أبي حيان والشنقيطي بأنه تكرار لنفي الإيمان.

(٨٦) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعارب لابن هشام ص (١٢٠)، روح المعاني(٢٥١/١٤-٢٥٢) الإيمان لابن تيمية ص (٢٢٨،٢٣٨).

(٨٧) الكشاف ص (١٠٤٢).

(٨٨) تفسير السعدي ص (١٣٥٦).

(٨٩) انظر: تفسير الطبري (٣٩٣/٢١)، تفسير السعدي ص (١٣٥٦)، في ظلال القرآن (٣٣٤٩/٦) وتفسير القاسمي (٣١٠/٦).

(٩٠) انظر: تفسير البغوي (٧/ ٣٥٠)، تفسير الزمخشري ص(١٠٤٢)، وتفسير أبو السعود (١١٩/٦) وتفسير الألوسي (٢٥٢/١٤).

(٩١) انظر: كتاب السبعة لابن مجاهد ص (٦٠٦)، والحجة لابن خالويه ص (٣١)، والكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٤٨/٢) وتفسير الطبري (٣٩٣/٢١- ٣٩٤) .

(٩٢) معاني القرآن للفراء (٣/٧٤) .

(٩٣) مقاييس اللغة لابن فارس ص (٩٠٩) .

(٩٤) انظر: تفسير الطبري (٢١/٣٩٣)، تفسير البغوي (٧/٣٥١)، تفسير الرازي(١٠/١١٧)، تفسير القاسمي(٦/٣١٠) .

(٩٥) في ظلال القرآن (٦/٣٤٩).

(٩٦) انظر: تفسير الطبري (٢١/٣٩٤)، وتفسير ابن كثير (٧/٣٨٩) .

(٩٧) انظر: تفسير القاسمي (٦/٣١٠)، وتفسير الكشاف ص (١٠٤٢) .

(٩٨) تفسير الفخر الرازي (١٠/١١٧) .

(٩٩) تفسير ابن عاشور (٢٦/٢٦٧).

(١٠٠) انظر: المفردات للراغب الصفهاني ص (٢١٣)، مقاييس اللغة ص (٤١١)، مفردات القرآن للإمام عبد الحميد الفراهي ص (٣٨٥).

(١٠١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٠)، تفسير الكشاف ص (١٠٤٢)

(١٠٢) انظر: تفسير أبو السعود (٦/١١٩-١٢٠)، تفسير الألوسي (١٤-٢٥٢)

(١٠٣) انظر: تفسير الكشاف ص (١٠٤٢)، تفسير الألوسي (١٤/٢٥٢—٢٥٣)

(١٠٤) تفسير الطبري (٢١/٣٩٥) .

(١٠٥) انظر: تفسير الألوسي (١٤/٢٥٣)، تفسير الطاهر بن عاشور (٢٦/٢٦٨).

(١٠٦) انظر: تفسير القرطبي (٨/٦١١)، تفسير الفخر الرازي (١٠/١١٧) .

(١٠٧) لأن من عقائد المرجئة الباطنة أن الإيمان لا يدخل فيه العمل لأنه التصديق بالقلب فحسب. انظر: شرح الفقه الأكبر لمحمد السمرقندي ص (٥٧) نكت القرآن للقصاب (٤/١٥٦). وما قالوه مردود عليهم بأدلة كثيرة منها هذه الآية في الحجرات، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ فسمى الصلاة إيماناً وهي قول وعمل، ومن السنة قوله ﷺ: " الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول: لاإله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" ففسر الإيمان بالقول والعمل . رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: أمور الإيمان حديث رقم (٩) (١/١٠) واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان، حديث رقم (٣٥) (١/٦٣) عن أبي هريرة ﷺ. إلى غير ذلك من الأدلة. انظر كتاب الإيمان لأبي عبيد ص (٣٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٤/٨١٦،٨٣١)، شرح العقيدة الطحاوية ص (٣٦٣).

(١٠٨) الإكليل (٣/١٢٠٠) .

(١٠٩) انظر: تفسير الألوسي (١٤،٢٥٣)، تفسير القاسمي (٢٦/٣١١) .

(١١٠) انظر: تفسير الألوسي (١٤/ ٢٥٣) .

(١١١) تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٥) .

(١١٢) تفسير القاسمي (٢٦/ ٣١١) .

(١١٣)تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٥)، تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٠)، تفسير الألوسي (١٤/ ٢٥٣)

(١١٤)هو عبد الرزاق بن أحمد بن أبي الغنائم محمد الكاشي أو الكاشاني أو القاشاني صوفي مفسر، له كتب منها: كشف الوجوه الغر، واصطلاحات الصوفية، شرح منازل السائرين، وغيرها. انظر: فوات الوفيات (٢٧٢/١)، الأعلام للزركلي (٣٥٠/٣) .

(١١٥) انظر: تفسير القاسمي (٣١٢/٢٦) .

(١١٦) تفسير القرطبي (٦١١/٨) .

(١١٧) انظر: تفسير الطبري (٣٩٦/٢١) تفسير البغوي (٣٥١)، تفسير القاسمي (٣١٢/٦)

(١١٨) تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٦) .

(١١٩) تفسير القاسمي (٣١٢/٦) وانظر: تفسير السعدي ص (١٣٥٧) .

(١٢٠) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس مادة (منّ) ص (٩٢٧) تهذيب اللغة الأزهري مادة (منّ، منن) (٣٤٦٠/٤)، تفسير ابن عاشور (٢٦٩/٢٦)، تفسير الرمخشري ص (١٤٤٢)

(١٢١) المفردات في غريب القرآن، مادة (منن) ص (٤٧٧).

(١٢٢) انظر: تفسير القرطبي (٦١٢/٨)، تفسير ابن عاشور (٢٧٠/٢٦)، تفسير الألوسي (٢٥٣/١٤-٢٥٤) .

(١٢٣) تفسير الفخر الرازي (١١٨/١٠) .

(١٢٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣٩٠/٧)، تفسير الزمخشري ص (١٠٤٢)، تفسير الألوسي (٢٥٤/١٤) تفسير ابن عاشور (٢٧٠/٢٦)، في ظلال القرآن (٣٣٥٠/٦).

(١٢٥) الإكليل (١٢٠٠/٣) .

(١٢٦) القدرية: هو أحد ألقاب المعتزلة، وسموا بهذه التسمية لإنكارهم أن يكون الشر والظلم والكفر مقدراً من الله تعالى.انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص (٤٣-٤٥)، والفرق بين الفرق (١٨، ٩٤).

(١٢٧) تفسير الألوسي (١٤/ ٢٥٤) .

(١٢٨) انظر: السبعة لابن مجاهد ص (٦٠٦)، حجة القراءات لابن زنجلة ص (٦٧٧)

(١٢٩) انظر: تفسير الرازي (١٠/ ١١٨)، تفسير الألوسي (٢٥٤/١٤)، تفسير القاسمي (٣١٢/٦) .

(١٣٠) تفسير الطاهر بن عاشور (٢٧١/٢٦) .

(١٣١) في ظلال القرآن (٣٣٥٤/٦) .